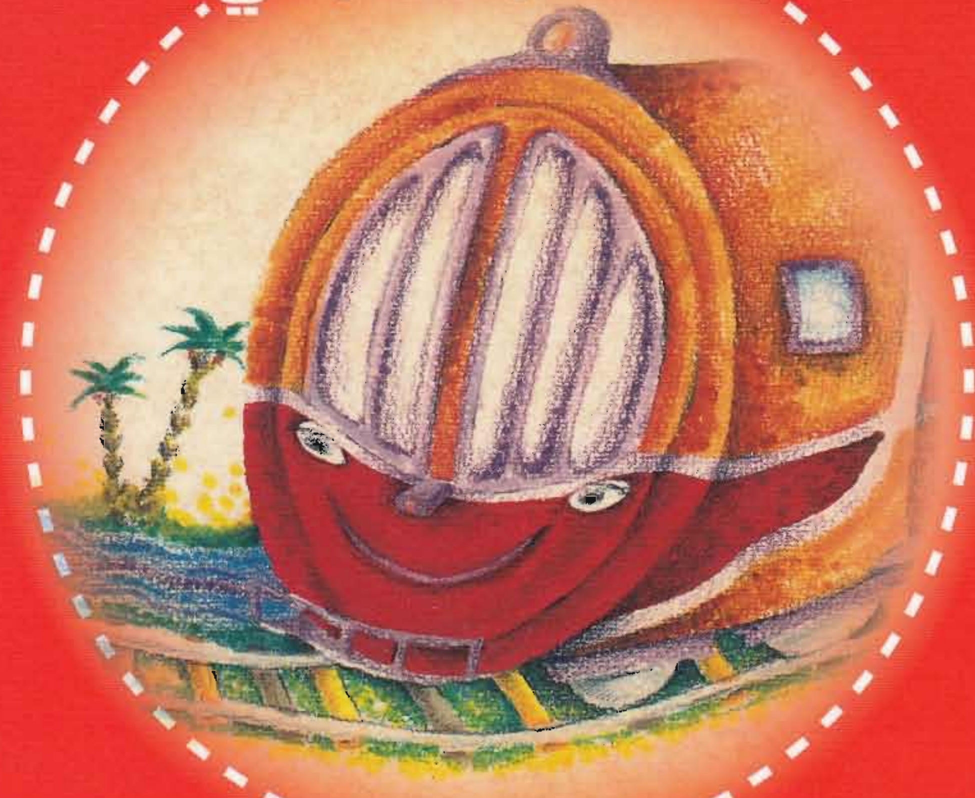


سباعي

القطار الأسباني



قصة: أماني العشماوي

رسوم: رانيا أبو المعاطي



مغاوري

قطار مجري، أحب المصريين وتمنى أن يكون واحدًا منهم.




سباعي

قطار أسباني، أحب المصريين وموسيقاهم وغناءهم.

مُرسي

قطار فرنسي متحفظ، أعجبه تعاطف المصريين وتعاونهم.



سنباطي

قطار صيني، أعجب بلغة مصر ومعالمها وحضارتها.



إسماعيل

قطار يوغوسلافي من البوسنة، سمح وكريم.



عتريس

شاب متحمس، من ملّوي في الصعيد.




كساب

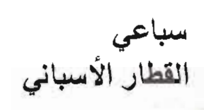
بريطاني الأصل رفض مغادرة مصر مع قوات الاحتلال.



دسوقي

مصري أصيل، كبير السن من دسوق بكفر الشيخ.


سباعي
القطار الأسباني



سباعي
القطار الأسباني

قصة: أماني العشماوي
رسوم: رانيا أبو المعاطي

إخراج فني: رجائي عبد الله

إشراف: أميرة أبو المجد

الطبعة الأولى ٢٠١٠

© دارالشروق

www.shorouk.com

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠١٠/٨٩٩٨
ISBN: 978-977-09-2822-4



سباعي
القطار الأسباني



قصة
أماني العشماوي

رسوم
رانيا ابو المعاطي

دار الشروق



عندما وصلَ القطارُ الأسبانيٌّ إلى محطة دمياطَ، لم يكنْ فيها قطاراتٌ أخرى. وظلَّ واقفًا هناك وحدَهُ ثلاثَةَ أيامٍ كاملةٍ؛ يتأمَّلُ ما حولَهُ، ويراقِبُ تصرفات عمالِ المحطةِ، ويستمِعُ إلى أحاديثِهِم، ويتمتَّعُ بأغانيهِم التي يترنَّمونَ بها في أثناءِ عملِهِم، دون أن يفهمَ منها شيئًا.. لكنه كان يشعُرُ بالألفةِ والأمانِ دون أن يعرِفَ السببَ.

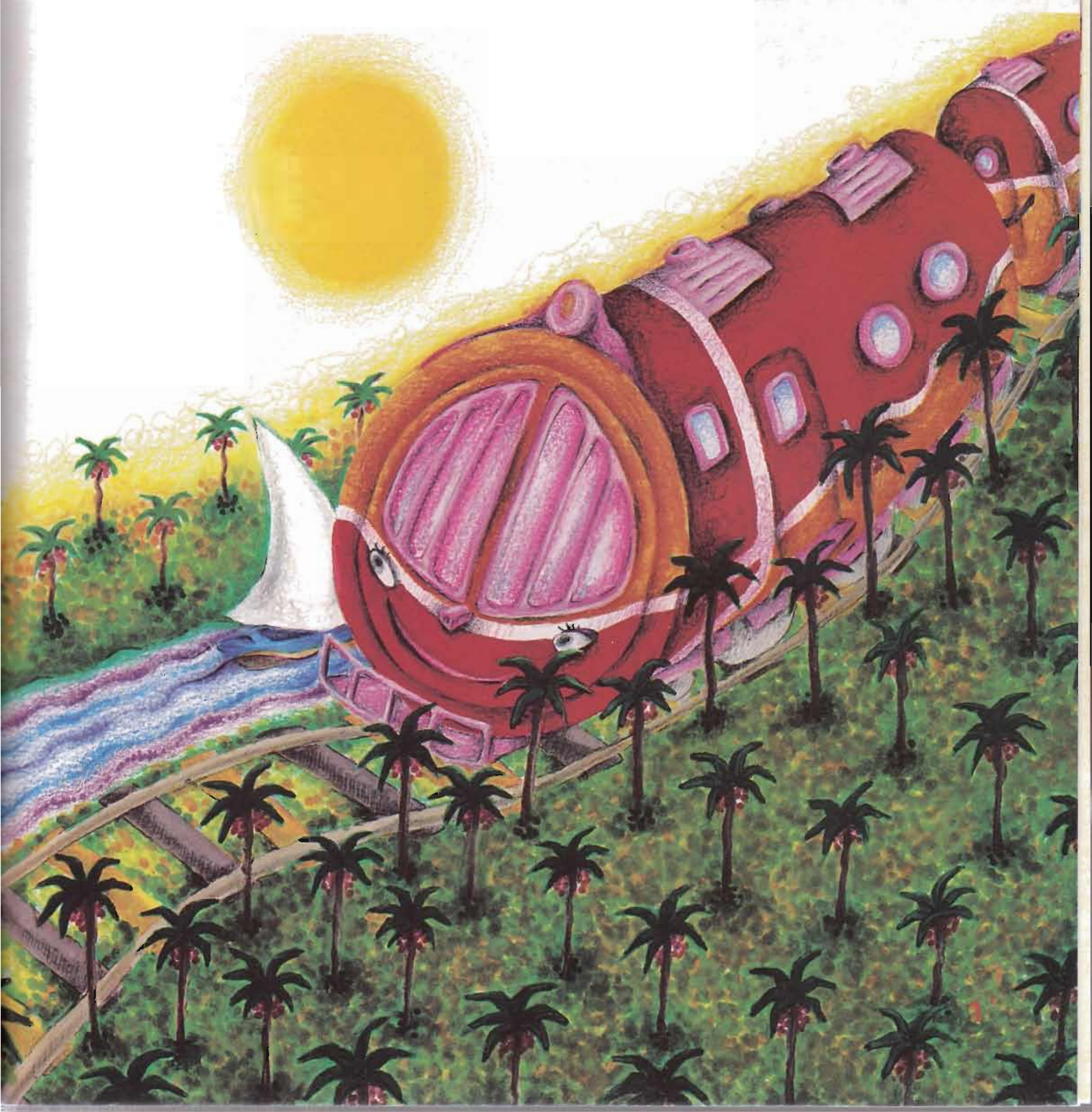
ثم سافرَ الأسبانيٌّ في أولِ رحلة له من دمياط إلى الإسكندريةِ، فلم يقابلْ أيَّ قطارات في الطريقِ وفي الإسكندريةِ، وجدَ ثلاثةَ قطاراتٍ تقفُ بالمحطةِ، فأطلقَ صفارةً هامسةً

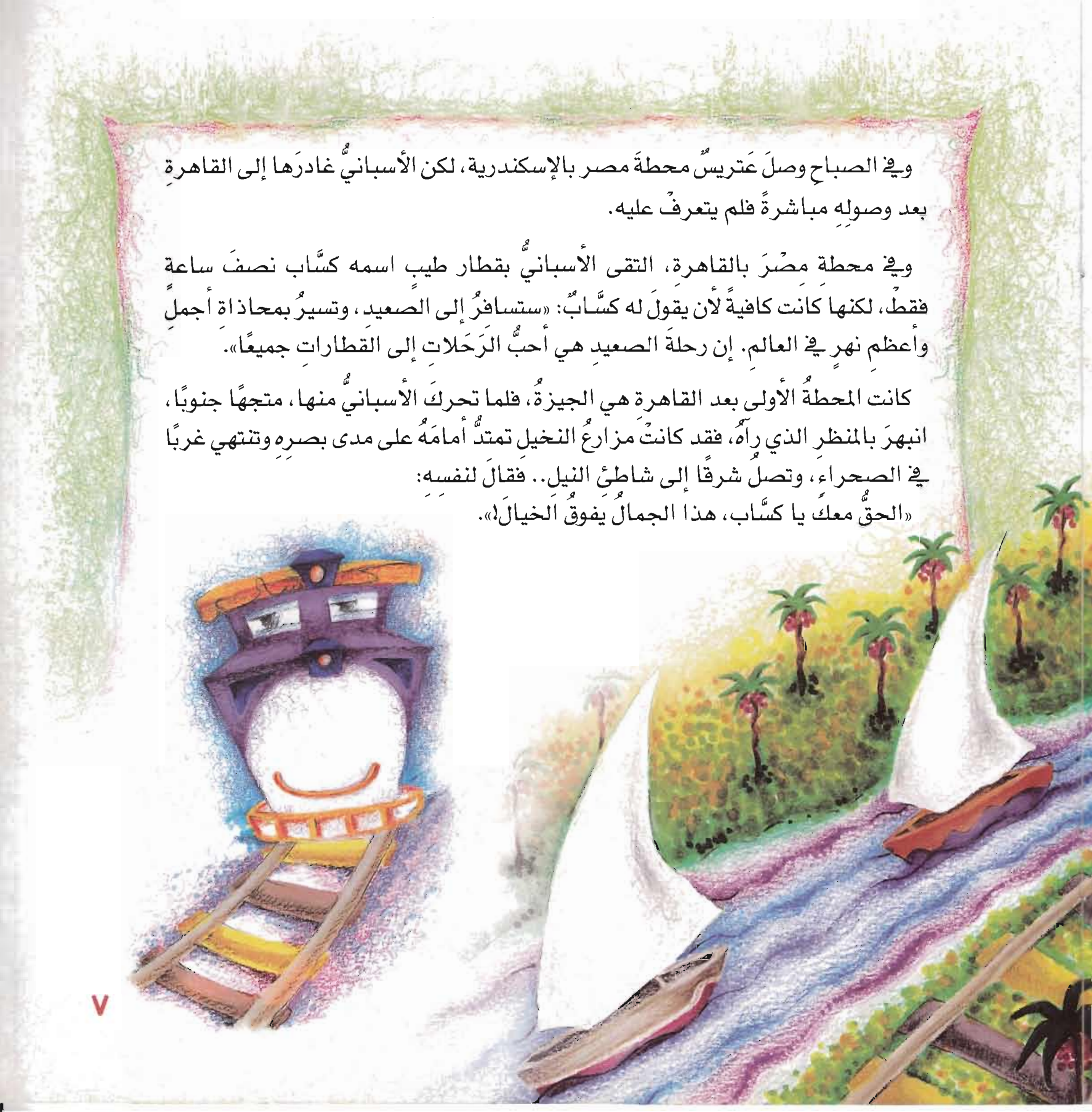


مترددةً، يقولُ: «صباحُ الخيرِ».. فهو لم يكنْ متأكدًا أن اللغةَ العالميةَ للقطاراتِ تستعملُ في مِصْرَ أيضًا.

ردَّت القطاراتُ الثلاثةُ: «صباحُ النورِ» ثم قالَ أحدُهُم: «أهلًا وسهلًا بك في مِصْرَ.. أنا دسوقي، وهذا مغاوري.. وذاك مُرسي».

تجرأ الأسبانيُّ وقالَ، بالصفيرِ طبعًا: «يسعدُني أن أتعرَّفَ عليكم». وهكذا أمضى الجميعُ مساءَهُم يتعارفون ويُدَرْدِشون.





وفي الصباحِ وصلَ عَتريسٌ محطةَ مصر بالإسكندرية، لكن الأسبانيُّ غادرَها إلى القاهرةِ بعد وصولِهِ مباشرةً فلم يتعرفْ عليه.

وفي محطةِ مصْرَ بالقاهرة، التقى الأسبانيُّ بقطار طيبٍ اسمه كسَّاب نصفَ ساعة فقطْ، لكنها كانت كافيةً لأن يقولَ له كسَّـابٌ: «ستسافرُ إلى الصعيد، وتسيرُ بمحاذاةِ أجملِ وأعظمِ نهرٍ في العالمِ. إن رحلةَ الصعيدِ هي أحبُّ الرَّحَلاتِ إلى القطاراتِ جميعًا».

كانت المحطةُ الأولى بعد القاهرةِ هي الجيزةُ، فلما تحركَ الأسبانيُّ منها، متجهًا جنوبًا، انبهرَ بالمنظرِ الذي رآهُ، فقد كانتْ مزارعُ النخيلِ تمتدُّ أمامَهُ على مدى بصرِهِ وتنتهي غربًا في الصحراء، وتصلُ شرقًا إلى شاطئِ النيل.. فقالَ لنفسه:
«الحقُّ معكَ يا كسَّاب، هذا الجمالُ يفوقُ الخيالَ!».



عادَ الأسبانيُّ من رحلةِ الصعيد، فوجدَ عتريسًا وحدَهُ في محطة مصْرَ. فتعارفا، وراحَ الأسبانيُّ يحكي له عن جمالِ النيلِ، والخضرة على شاطئيْه، فتنهدَ عتريسٌ وقالَ: «ليتني أعودُ للعملِ على خطِّ الصعيدِ.. كم أفتقدُ السيرَ بجوارِ النيلِ».

ثم راحَ يغني بلغَةٍ لم يفهمْها الأسبانيُّ، لكنَّ لحنَها أعجبَهُ، فراحَ يُصَفِّرُ على أنغامِها.

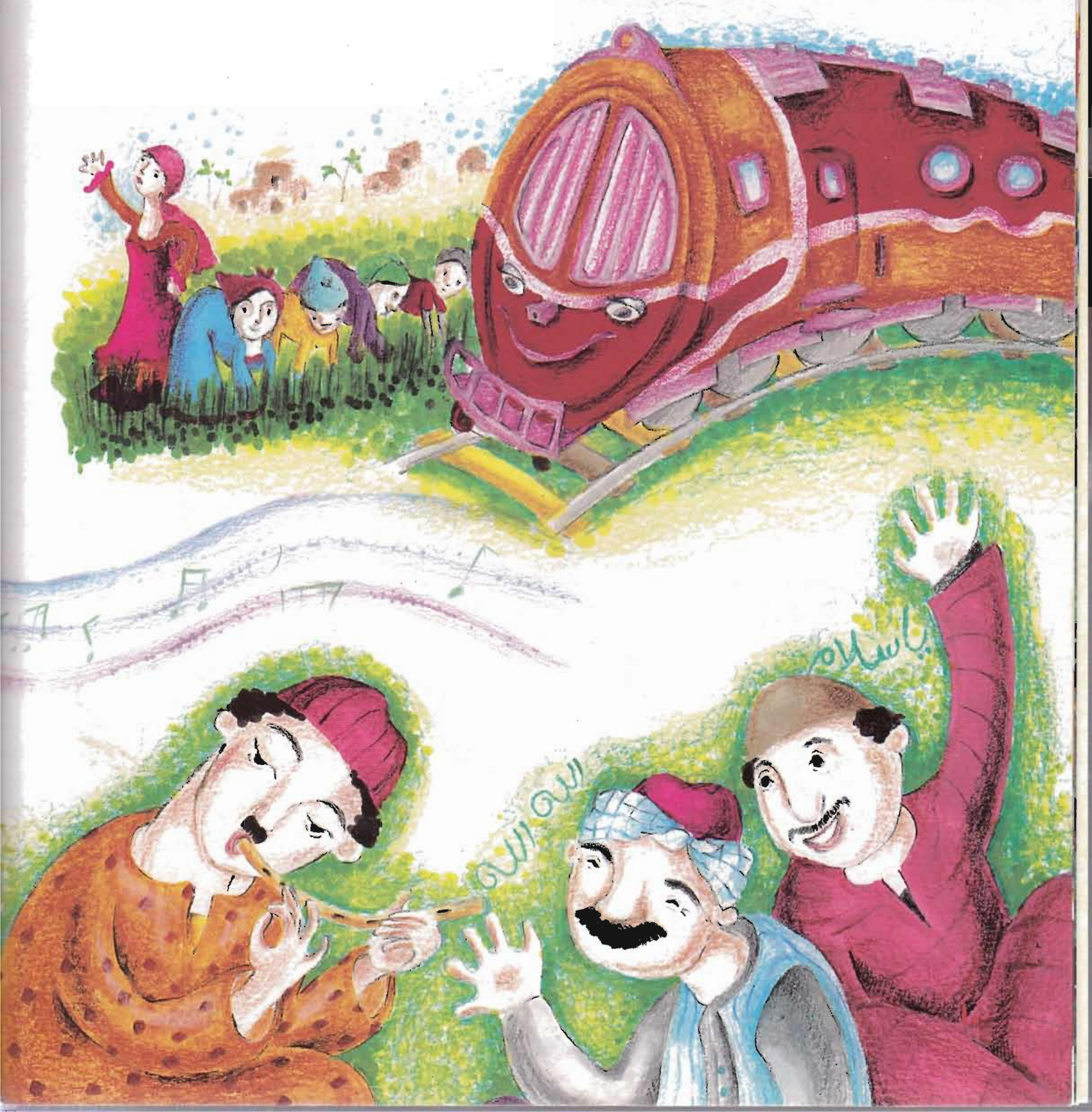
كانَ عتريسٌ يغني:

سَمِعْتُ في شَطِّكَ الجَميلِ ما قالَت الريحُ للنّخيلِ
يُسَبِّحُ الطَيْرُ أم يُغَنّي ويَشْرَحُ الحُبَّ للخَميلِ



سألَهُ الأسبانيُّ باهتمامٍ: «ماهذه اللغةُ التي تُغَنِّي بها؟ هل هي لغةُ القطاراتِ هنا؟».

ابتســمَ عتريسٌ وقالَ باعتزازٍ: «إنها اللغةُ العربيــةُ، التي يتحدثُ بها كلُّ من يعيشُ على أرضِ مِصْرَ».


يا سلام
الله الله



قالَ الأسبانيُّ بدهشة: «إذن.. لا بدَ أن أتعلمَها بسرعةٍ. لقد أضَعْتُ أسبوعَيْنِ كاملَيْنِ من عمري دون أن أتعلمَ منها كلمةً واحدةً!!».

واستمرَّ الأسبانيُّ في رَحَلاتِهِ إلى الصعيدِ، فكانَ يمرُّ على الحقولِ المزروعةِ، ويشاهِدُ الفلاحين وهم يعملون في الأرضِ، أو مجتمعينَ يأكلونَ في ظلِّ شجرةٍ، أو مستلقينَ يرتاحون في خُصٍّ مبنيٍّ من جريدِ النخلِ.. لكن أكثرَ ما لفَتَ نظرَهُ ونالَ إعجابَهُ، كانت المواويلَ التي يغنونها، والألحانَ التي يعزفونَها على الناي أو الطبلةِ.





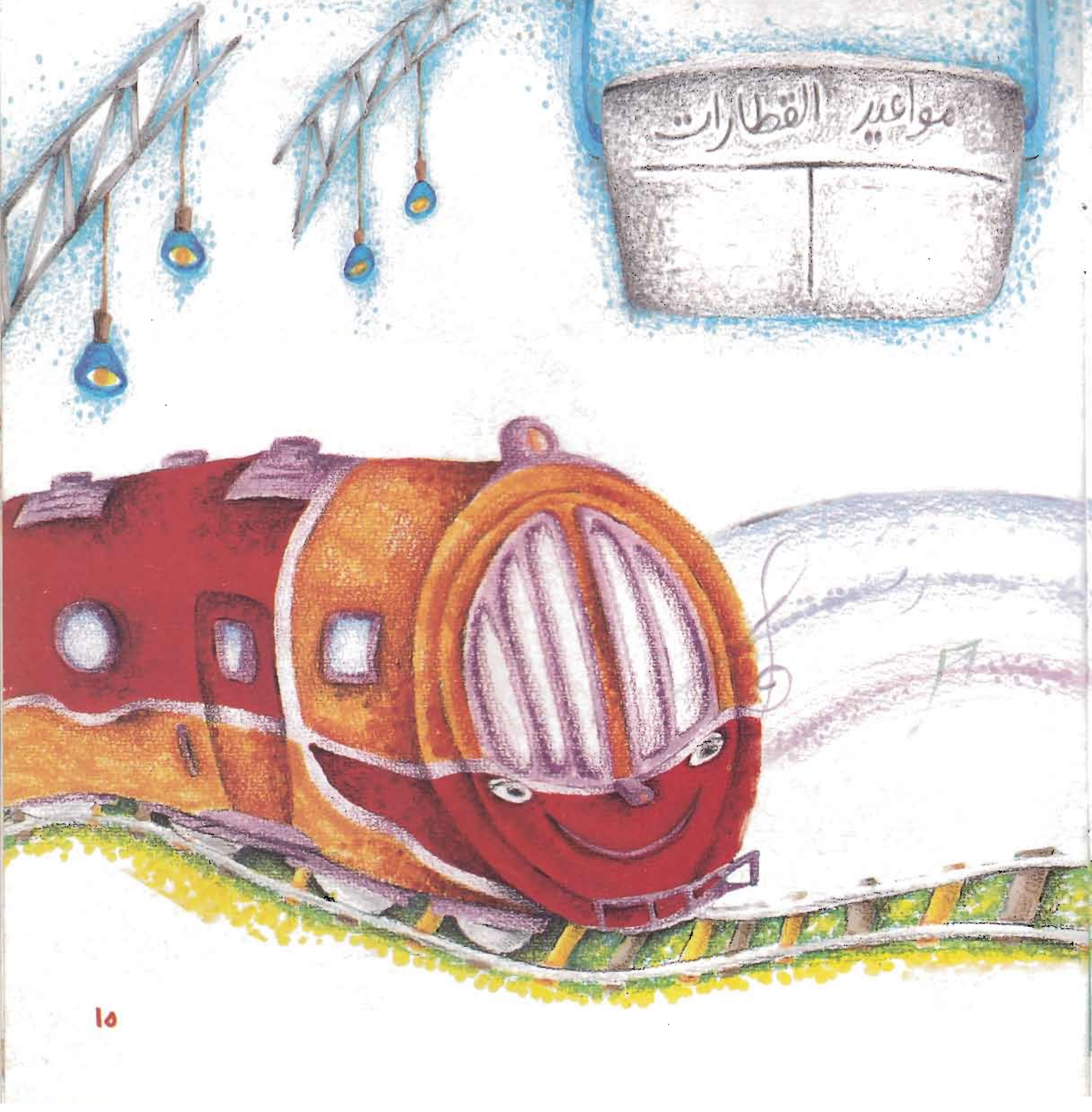
بعد أربعَةِ أشهرٍ، تحولَتْ رحلاتُ الأسبانيِّ إلى خطِّ الفيومِ ـ بني سويفٍ. فانتهَزَ الفرصةَ وراحَ يتأملُ الصحراءَ التي يسيرُ في وسطها لأولِ مرةٍ في حياتِهِ حتى يصِلَ إلى قرى الفيومِ، فيشعُرَ أنه قد وصلَ إلى واحةٍ خضراءَ تحيطُ بها الصحارى من كلِّ جانبٍ، ثم يغادرَ الفيومَ إلى بني سويف، ويسيرَ بمحاذاةِ بحرِ يوسفَ، فيقولُ لنفسِهِ: «إنني أسيرُ الآن بجوارِ الشريانِ الذي يمدُّ الفيومَ بالحياةِ».

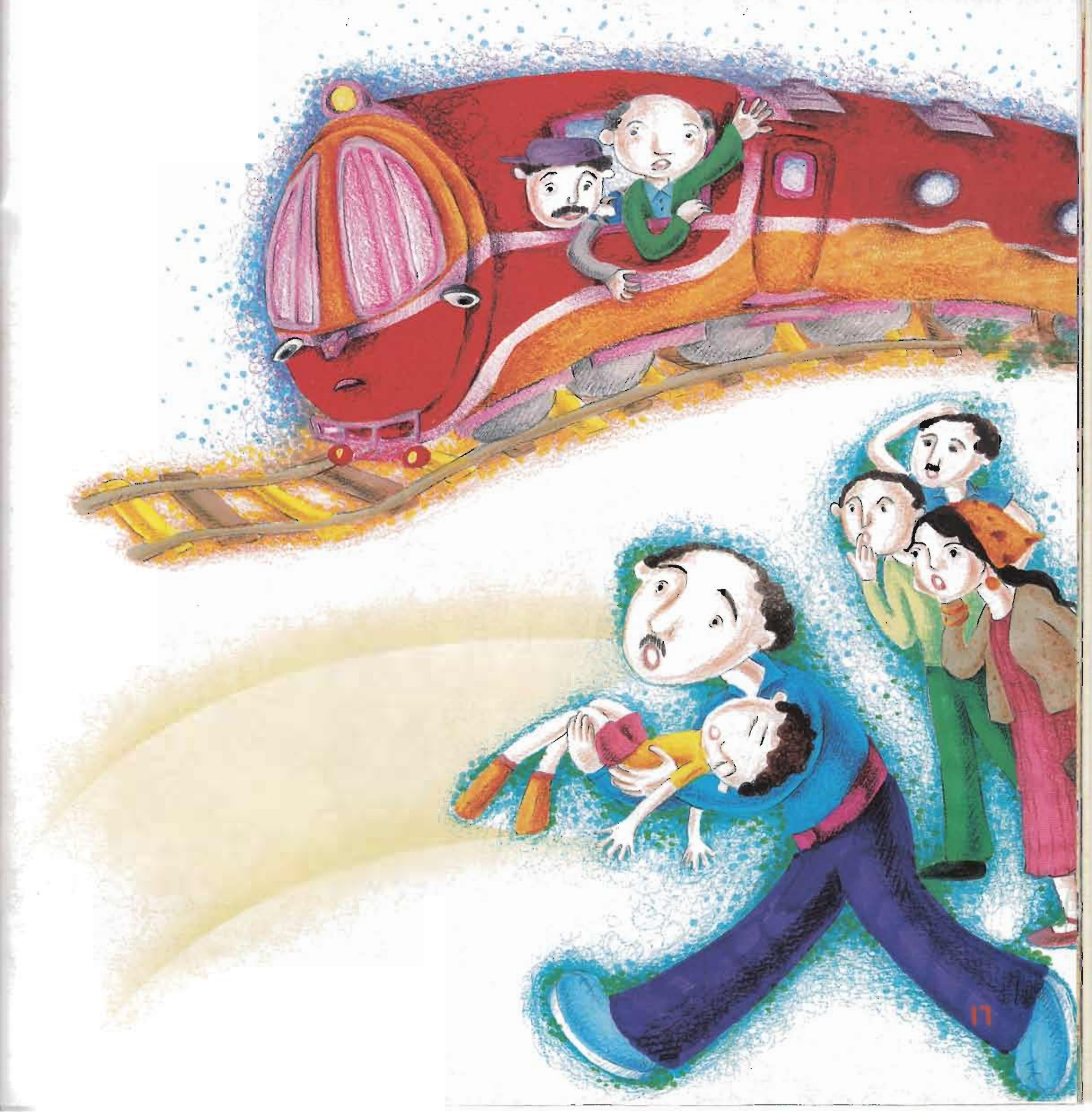
كانت لغةُ الأسبانيِّ تتحسنُ باستمرارٍ، والأهمُّ من ذلك أنه كان ثاني قطارٍ في مِصْرَ، بعد عتريسٍ، يكتشِفُ أن هناك جهازًا غريبًا يحملُهُ الناسُ، ويسمونَهُ مذياعًا.. تخرُجُ منه الأغاني والألحانُ، فكان يحفظُ منها ما يعجِبُهُ، ويسيرُ يُغنيها، أو يُصفِّرُ بها إذا لم تساعدْهُ لغتُهُ العربيةُ على حفظ كلماتِها أو فهمِ معانيها. وكان مساعدُ السائقِ يصحبُ في أسفارِهِ دائمًا مذياعًا، يسمَعُهُ أحيانًا، ويشاركُهُ الغناءَ أحيانًا أخرى.



وبمرورِ الوقتِ، أصبحَ الأسبانيُّ يعرفُ من اللغةِ العربيةِ ما يسمحُ له بالغناءِ.. فكانَ يصفرُ على أنغامِ ما يُغَنِّيهِ مساعدُ السائقِ بينما يغني لنفسِهِ كلماتِ الأغنيةِ بصوتٍ هامسٍ.

وانتشرتْ سمعَةُ الأسبانيِّ الفنيةُ في الفيومِ، حتى إن عمالَ محطةِ السكةِ الحديدِ هناك أطلقوا عليه اسم «سباعي» على اسمِ مساعدِ السائقِ.. فقد كان المساعِدُ يجلِسُ على أرضِ القاطرةِ ويربت على جانِبِها ويقولُ: «هيا يا سباعي» ثم يبدأُ الغناءَ، فينطلِقُ سباعي مصاحبًا له بالصفيرِ. ومن حين لآخرِ يتوقفُ المساعدُ ليقولَ للقطارِ: «واللّه يا سباعي إنك فنانٌ مصريٌّ أصيلٌ».


مواعيد القطارات



في أحدِ الأيامِ، في بدايةِ الجزءِ الزراعيِّ من طريقِ الفيومِ.. رأى الأسبانيُّ من بعيدٍ سيارةً مقلوبةً والناسُ مُتَجَمْهِرون حولَها.. ثم رأى رجلًا يخرُجُ من الزحامِ يحملُ صبيًّا مصابًا ويجري به نحوَ شريطِ السكةِ الحديدِ.

أرادَ الأسبانيُّ أن يقفَ لِيُمَكِّنَ الرجلَ من ركوبِ القطارِ. لكنه لم يَدْرِ ماذا يفعلُ، لأن السائقَ ومساعدَهُ كانا مشغولَيْنِ بالنظرِ إلى السيارةِ المقلوبةِ.. وكان هو قد تعلَّمَ أن عُرْفَ القطاراتِ في العالمِ كلِّهِ لا يسمحُ له أن يتوقَّفَ دونَ إذنِ سائقِهِ.

وأخيرًا قررَ أن يتصرَّفَ بطريقَةٍ مبتكرَةٍ، فأخذَ يُطْلِقُ صفيرًا طويلًا عاليًا متقطعًا، فانتبَهَ له السائقُ وحاولَ أن يُسْكِتَ الصفارَةَ فلم يستطِعْ...
واستمرَّ الأسبانيُّ في صفيرِهِ.

راحَ السائقُ ومساعِدُهُ يتلفتان حولَهُما بحثًا عن حلٍّ. فرَأَيَا الرجلَ الذي يحمِلُ الصبيَّ المصابَ. فأوقَفَ السائقُ القاطرَةَ وفتحَ مساعدُهُ بابَها وأدخلَ الرجلَ والصبيَّ.. وفي الحالِ توقفَ الأسبانيُّ عن الصفيرِ، واستأنفَ سيرَهُ إلى مدينَةِ الفيومِ.

رَبَتَ السائقُ على النافذَةِ الأماميَّةِ للقاطرَةِ وقالَ: «واللهِ يا سباعي إنك يُعْتَمَدُ عليكَ في مراقبةِ الطريقِ». انتعشَ سباعيٌّ من هذه الكلمات، وأكملَ طريقَهُ وهو يكادُ يطيرُ فوقَ القضبانِ الحديديةِ.

في مساءِ ذلك اليومِ، وصلَ سباعي إلى محطةِ مصرَ في القاهرةِ وهو مبتهجٌ يغني:

عطشان يا أسمراني محبة   عطشان يا أسمراني

اِمْلا لي القناني محبة   اِمْلا لي القناني

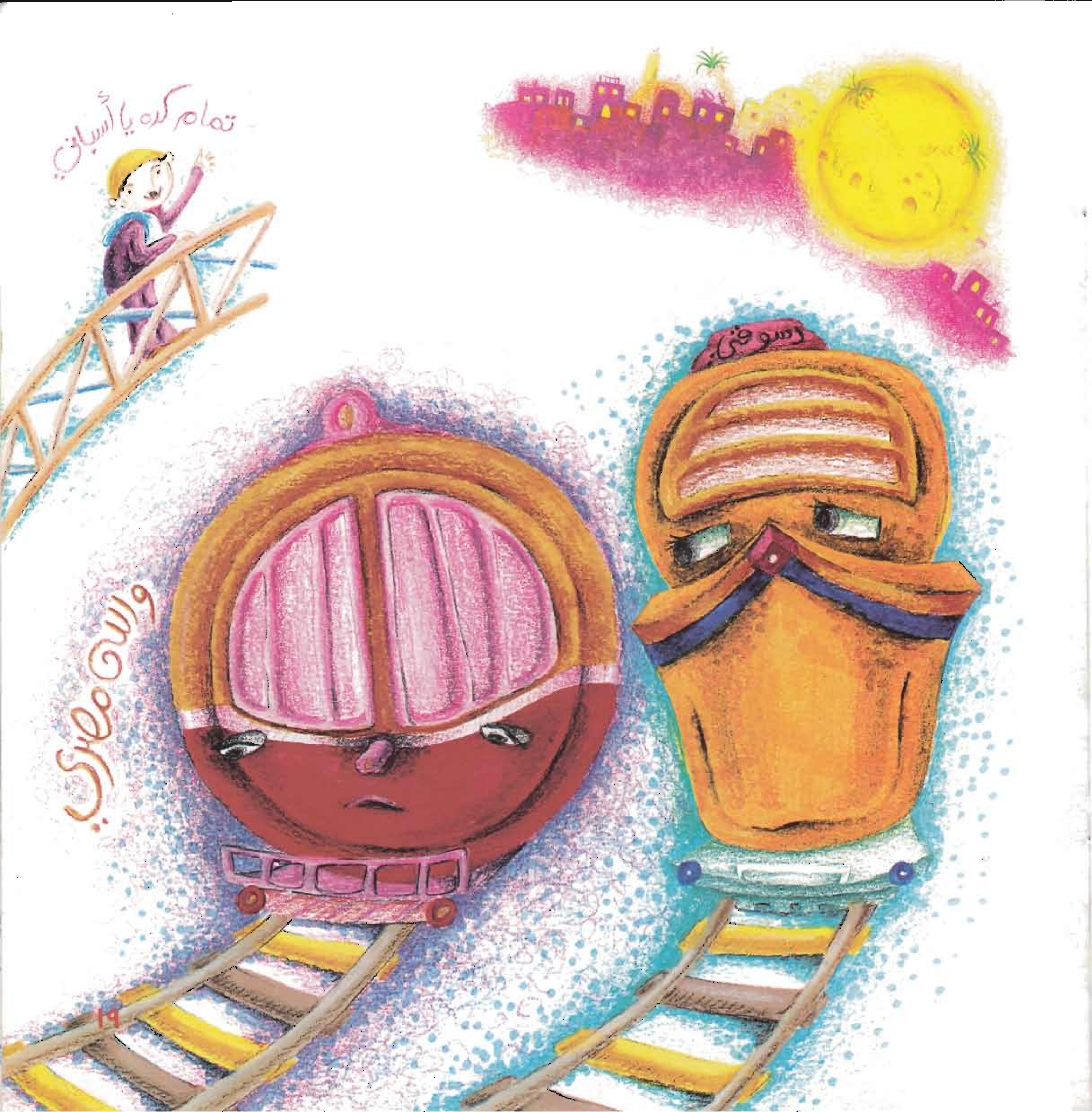
استقبلَهُ دسوقي ضاحكًا، وقالَ: «تكادُ تُصْبِحُ واحدًا منا يا سيد أسباني».

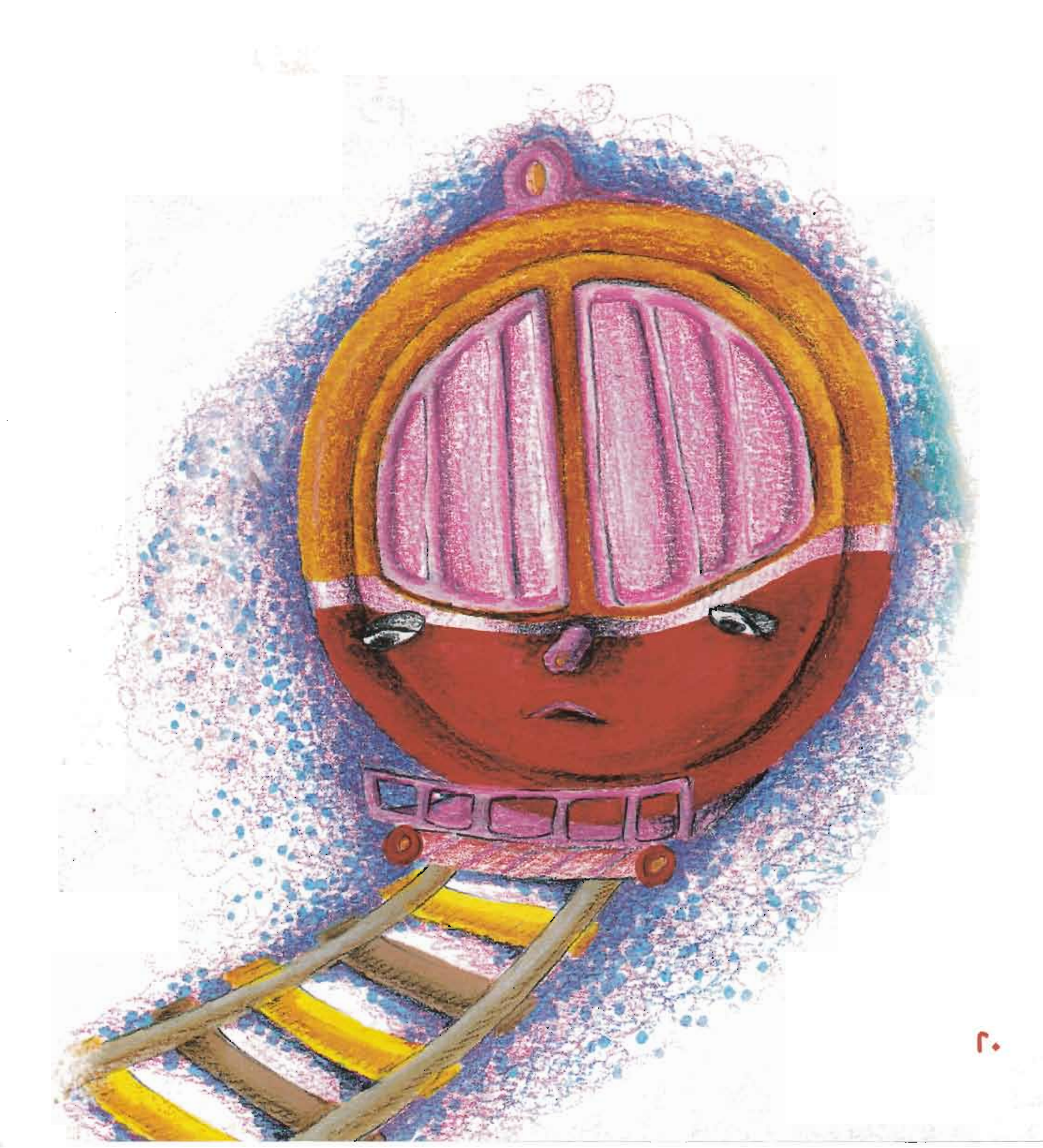
قالَ الأسبانيُّ وقد بدا عليه الفخرُ: «فعلًا.. فعلًا، فالجميعُ في محطةِ الفيومِ يسمونَني سباعي، على اسمِ مساعدِ السائقِ الذي علمني هذه الألحانَ».

منذُ ذلك اليومِ، أصبحَت القطاراتُ كلُّها تناديه سباعي، وكان ذلك يسعدُهُ.. لكنه كان يتألَّمُ كلما سمعَهُم يقولونَ عنه الأسبانيَّ، ولم يجدْ في نفسِهِ الجرأةَ أبدًا ليقولَ لهم إنه يَعْتَبِرُ نفسَهُ مصريًّا، فكان يكْتُمُ ضيقَهُ ولا يحكي عنه لأحدٍ.

ذاتَ يومٍ، وقفَ سباعي على قضيبٍ جانبيٍ في محطةِ مِصْرَ بالقاهرةِ؛ لِتُجْرَى له بعضُ أعمالِ الصيانةِ. فسمعَ المشرفينَ على الصيانَةِ يتحدثونَ عن القطاراتِ. فيقولونَ عنهم: «مغاوري.. مرسي» أما هو فيقولونَ عنه: «الأسبانيُّ»!

انتهَتْ أعمالُ الصيانَةِ، وعادَ سباعي إلى مكانِهِ، ووقفَ فيه حزينًا ساهمًا حتى إنه لم ينتبِهْ لوصولِ دسوقي ووقوفِهِ على الرصيفِ المجاورِ له.


تمام كده يا أسباني



قالَ دسوقي: «ماذا حدثَ ياسباعي؟ تبدو مهمومًا».

ردَّ سباعي وهو يكادُ يبكي: «لماذا لا تعتبروني مصريًّا مثلَكم؟».

قالَ دسوقي برقة: «أنت أخونا وصديقنا وندعوكَ سباعي كما تحبُ. ولكن، كيف نعتبِرُكَ مصريًّا قبلَ أن تَعْتَبِرَ أنتَ نفسَكَ مصريًّا؟».

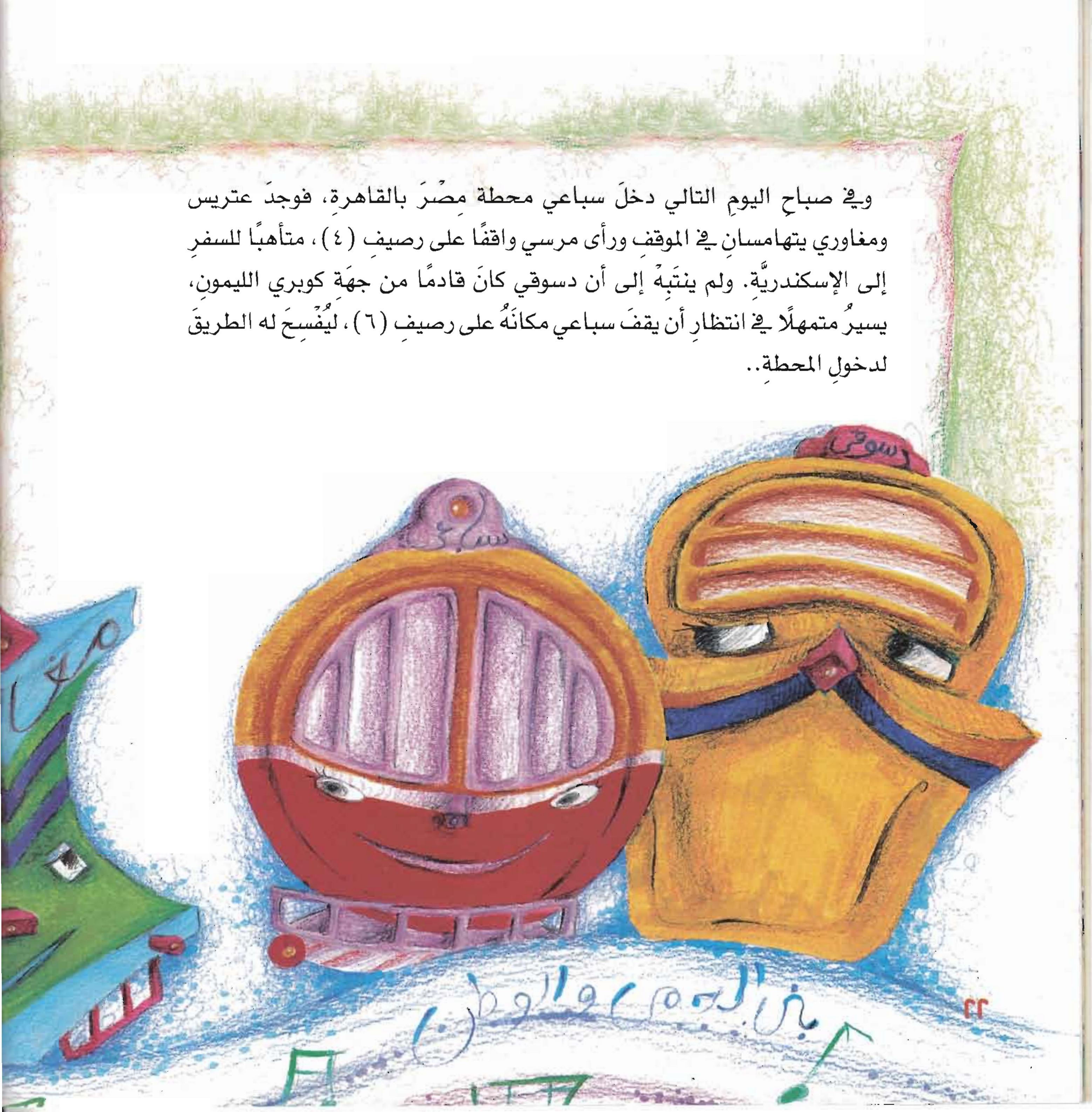
قالَ سباعي: «أنا مصريٌّ واللهِ العظيمِ.. أشعُرُ أنني كنتُ مصريًّا طولَ عمري.. لم أكنْ أعرفُ ما معنى الوطنِ حتى جئتُ مصرَ فاكتشفتُ أنني مصري وأن مصرَ هي وطني».

ابتسمَ دسوقي بحنانٍ وقالَ: «أفهمُ ما تقصدُ ياسباعي.. فقد ذكرتَني بالأيامِ الخاليةِ عندما حكى لي كسَّابٌ عن حبِّهِ لمصرَ ورغبَتِهِ في أن يكونَ مصريًّا».

ثم انتبَهَ دسوقي لأمرٍ ما فقالَ:
«ربما كان هذا هو السببَ.. فأنت تعتبرُ نفسَكَ مصريًّا منذُ اليومِ الأولِ، فلم تخبرْ زملاءكَ بذلك وهم ينتظرونَ أن تخبرَهُم أنكَ أصبحْتَ مصريًّا».

قالَ سباعي وقد زالَ همُّهُ: «الحقُّ معكَ يادسوقي».

في اليومِ نفسِهِ، غادرَ سباعي القاهرةَ في رحلتِهِ إلى الفيومِ وبني سويف، وسافرَ دسوقي ظهرًا إلى السويسِ.



وفي صباحِ اليومِ التالي دخلَ سباعي محطةَ مِصْرَ بالقاهرةِ، فوجدَ عتريس ومغاوري يتهامسانِ في الموقفِ ورأى مرسي واقفًا على رصيفِ (٤)، متأهبًا للسفرِ إلى الإسكندريَّةِ. ولم ينتَبِهْ إلى أن دسوقي كانَ قادمًا من جهَةِ كوبري الليمونِ، يسيرُ متمهلًا في انتظارِ أن يقفَ سباعي مكانَهُ على رصيفِ (٦)، ليُفْسِحَ له الطريقَ لدخولِ المحطةِ..

كان سباعي منتعشًا، وقد زالَ حرجُهُ وارتباكُهُ تمامًا فراحَ يُصَفِّرُ ويغني قائلًا:
«بَنِي الحِمَى والوَطَنِ.. مَنْ مِنْكُمُ يُحِبُّهَا مِثْلِي أنا؟.. مِثْلِي أنا».
فسمع دسوقي يغني من خلفه: «نُحِبُّهَا مِنْ روحِنا..»
ثم اشترك معه في الغناء مغاوري وعتريس: «ونَفْتَدِيها بالعَزِيزِ الأكْرَمِ..»
ومن الرصيف (٤) جاء صوت مرسي: «من عمرنا، وجهدنا.. من عمرنا، وجهدنا».






البحر الأبيض المتوسط
مطروح
الاسكندرية
رشيد
دمياط
العريش
دمنهور
المنصورة
واحة سيوة
سيناء
السويس
القاهرة
الجيزة
الفيوم
المنيا
الغردقة
البحر الأحمر
الأقصر
أسوان

سلسلة قطار مصري

في مصر، كل قطار له اسم: "الفرنسي"، "الأسباني"، "المجري".. وهكذا. ولكن، لماذا تُسمى القطارات المصرية بأسماء بلاد أجنبية؟

في سلسلة قصص «قطار مصري»، ومن خلال مغامرات شيقة، ستتعرف على كل قطار وقصة وصوله إلى مصر، وكيف أصبح مصريًا خالصًا.



قطار مجري، أحب المصريين وتمنى أن يكون واحدًا منهم.





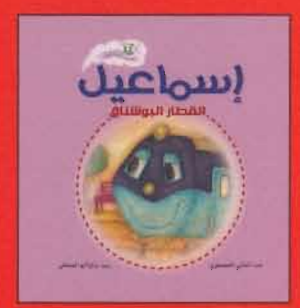
قطار فرنسي متحفظ، أعجبه تعاطف المصريين وتعاونهم.

سباعي
القطار الأسباني

قطار أسباني، أحب المصريين وموسيقاهم وغناءهم.



قطار صيني، أعجبه بلغة مصر ومعالمها وحضارتها.



قطار يوغوسلافي من البوسنة، سمح وكريم.



دار الشروق
www.shorouk.com